تأملات في علم عد الآيات

إعـــداد

كامل بن سعود العنزي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

[فصلت: ٣]

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، إله الأولين والآخرين، وصلى الله وسلم على رحمة الله للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، وعلى كل من تبعه وسار على منهاجه إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن أفضل ما يتسابق فيه المتسابقون، ويتنافس فيه المتنافسون، دراسة علوم الكتاب المكنون، معجزة الدهور، وآية العصور.

وقد أقبل علماء الأمة – سلفاً وخلفاً – على النهل من مورده العذب الزلال، والتأليف والتصنيف في علومه، وتناولها بالبحث والدراسة.

ولا شك أن من علومه الرفيعة الجليلة «علم عدد آي القرآن» فتعلمه وتعليمه أثر عنه ﷺ، ومنه تلقاه صحابته الكرام، وعنهم أخذه الأتباع الأعلام.

وقد قدّم علماؤنا فيه مؤلفات كثيرة، ومصنفات وفيرة ما بين مطول ومختصر، ومنظوم ومنثور، وتباينت آراؤهم في بعض المسائل العلمية، وكل أدلى برأيه وبما يظهر له فيها.

وقد رأيت أن أنضم إلى ركبهم، وأشرُف بتقليدهم، وألقي الضوء على جهودهم، ومحاولة بيان الراجح من قيلهم.

وتناولت في هذا البحث الذي أسميته «**تأملات في علم عد الآيات**» عدة مسائل وعناصر جمعت فيها ما استطعت إليه سبيلاً من أقوالهم ونقولاتهم، والإشادة بمؤلفاتهم، والإشارة إلى مناهجهم.

أهمية الموضوع:

لا يخفى على كل ذي بصيرة أهمية هذا العلم الشريف، ويكفي أنه يتصل بأشرف كتاب منيف، وما يتعلق بهذا العلم من مسائل فقهية وأدائية، يقول الهذلي في

كتابه الكامل:

«اعلم أن قوماً جهلوا العدد وما فيه من الفوائد، حتى قال الزعفراني: العدد ليس بعلم وإنما اشتغل به بعضهم ليروِّج به سوقه» قال: وليس كذلك، ففيه من الفوائد معرفة الوقف، ولأن الإجماع انعقد أن الصلاة لا تصح بنصف آية، وقال جمع من العلماء: تجزئ بآية، وأخرون: بثلاث آيات، وآخرون: من سبع، والإعجاز لا يقع بدون آية، فللعد فائدة عظيمة في ذلك»[1].

وقد أشار إلى هذه الفوائد غير واحد ممن ألفوا في علوم القرآن، وإن كان المقصد من بحثي هو مناقشة مسائل معينة هي محط خلاف بين أهل العلم، وإلقاء الضوء على مؤلفاتهم التي قل الرجوع إليها والاعتماد عليها عند كثير من المتأخرين، والاكتفاء ببعض الكتب المختصرة غير الوافية، فرأيت الكتابة في هذا الموضوع لأهميته وضرورته.

(١) ينظر: الإتقان للسيوطي (٢/ ٤٥٢).

خطة البحث في الموضوع:

ظهر لي أن أقسم البحث إلى مقدمة وأربعة مباحث هي:

المبحث الأول: تعريف الآية والفاصلة والفرق بينهما.

المبحث الثاني: أسماء هذا الفن.

المبحث الثالث: كيفية معرفة رأس الآية.

المبحث الرابع: الأعداد المتداولة في هذا العلم.

المبحث الخامس: مناهج التأليف في هذا العلم الشريف.

ثم الخاتمة والفهارس العلمية.

المبحث الأول

تعريف الآية والفاصلة والفرق بينهما

المبحث الأول
تعريف الآية والفاصلة والفرق بينهما

[أ] الآيـــــة:

تطلق الآية في اللغة: على عدة معان منها: العلامة والعبرة والجماعة والمعجزة[1].

أما في الاصطلاح: فقد وردت عدة تعريفات لمعنى الآية تفاوتت طولاً وقصراً، فنجد مثلاً أن الداني (ت٤٤٤هـ) يعرف الآية بقوله:

«الآية العلامة أي: أنها علامة لانقطاع الكلام الذي قبلها من الذي بعدها وانفصالها، وتقول العرب: بيني وبينك آية، أي: علامة. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ﴾ أي: علامة.

وأنشدنا النابغة:

توهمت آيات لها فعرفتها ... لستة أعوام وذا العام سابعُ

أي: علامات.

وقيل: سميت آية؛ لأنها جماعة من القرآن وطائفة منه، يقال: خرج القوم بآيتهم: أي بجماعتهم.

ثم تبع كلامه بالحديث عن اشتقاق كلمة «الآية» لغوياً وخلاف العلماء في ذلك[2].

والمتأمل في كلام الداني – رحمه الله – يجد أنه وظّف معنى الآية في اللغة

(١) للتوسع انظر: تاج العروس مادة (أيي)، جمال القراء للسخاوي (١/ ٤٠ – ٤٣).

(٢) ينظر: البيان للداني (١٢٥ – ١٢٦).

لتعريفها اصطلاحياً وإن لم يصرح بذلك.

ويمكن الخروج من كلامه بتعريف للآية وهو «جماعة من القرآن وطائفة منه تُعلِم بانقطاع الكلام الذي قبلها من الذي بعدها، وانفصالها يعجز البشر عن التكلم بمثلها».

أما العلامة إبراهيم الجعبري (ت٧٣٢هـ) فيعرف الآية كما في كتابه (حسن المدد في فن العدد) بقوله: «وجه الآية قرآن مركب من جمل ولو تقديراً، ذو مبدأ ومقطع مندرج في سورة»[1].

أما الزركشي (ت٧٩٤هـ) في كتابه (البرهان في علوم القرآن) فقد أورد عدة تعريفات أولاها: تعريف الجعبري السالف ذكره مع ملاحظة أنه قال: «فقال الجعبري في كتاب المفرد في معرفة العدد... إلخ» والكتاب مطبوع باسم «حسن المدد في فن العدد» ولا ضرر في هذا الأمر، فقد يكون للكتاب أكثر من اسم.

ثم ذكر الزركشي تعريفاً آخر بقوله: «وقال غيره – أي – الجعبري: طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها، وما بعدها ليس بينها شبه بما سواها».

وقيل: «هي الواحدة من المعدودات في السور»[2].

أما السيوطي (ت٩١١هـ) في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) فذكر التعريفات التي أوردها الزركشي في برهانه، وزاد عليه تعريفاً وهو: «فالآية طائفة من حروف القرآن علم بالتوقيف انقطاعها» ثم شرحه بقوله: يعني عن الكلام الذي بعدها في أول القرآن، وبعد الكلام الذي قبلها في أول القرآن، وعما قبلها وما بعدها في غيرهما غير مشتمل على مثل ذلك»[3].

(١) حسن المدد (١٨).

(٢) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٦٦).

(٣) الإتقان في علوم القرآن (١/ ٦٦).

أما ابن عقيلة المكي (ت١١٥٠هـ) في كتابه (الزيادة والإحسان في علوم القرآن) فقد عرَّف الآية بقوله: «وهي طائفة من كلام الله تعالى علم بتوقيت الشرع إقطاعها عن الكلام الذي بعدها في الأوائل وعن الكلام الذي قبلها في الأواخر، وعنها في الأوساط»[1].

وتعريف السيوطي وابن عقيلة يدل على رأيهما في أن تحديد رؤوس الآي توقيفي صرفة ولا مجال للقياس فيه، ولا شك بأن هناك من يخالف هذا القول.

وفي تفسير التحرير والتنوير للعلامة ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ) فنجد في المقدمة الثامنة «اسم القرآن وآياته وسوره وترتيبها وأسمائها» أنه يعرف الآية بقوله – رحمه الله –: «الآية: هي مقدار من القرآن مركب ولو تقديراً أو إلحاقاً» ثم شرح تعريفه هذا بقوله: فقولي ولو تقديراً لإدخال قوله تعالى: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾إذ التقدير هما مدهامتان، ونحو ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ إذ التقدير أقسم بالفجر، وقولي أو إلحاقاً: لإدخال بعض فواتح السور من الحروف المقطعة، فقد عد أكثرها في المصاحف آيات ما عدا: ألر، وألمر، وطس، وذلك أمر توقيفي وسنة متبعة ولا يظهر فرق بينها وبين غيرها»[2].

وقد جمع الفيروزأبادي في بصائر ذوي التمييز بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للآية فقال: «سميت آية القرآن آية لأنها علامة دالة على ما تضمنته من الأحكام، وعلامة دالة على انقطاعه عما بعده وعما قبله، أو لأنها فيها عجائب من القصص والأمثال والتفصيل والإجمال والتميز عن كلام المخلوقين، ولأن كل آية جماعة من الحروف، وكلام متصل المعنى إلى أن ينقطع وينفرد بإفادة المعنى»[3].

(١) الزيادة والإحسان في علوم القرآن (٢/ ٢٤٦).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٤٠).

(٣) بصائر ذوي التمييز (١/ ٨٠).

[ب] الفاصلة:

الفصل في اللغة: البت والقطع، يقال: فصلت كذا عن كذا: يعني قطعته عنه.

أما في الاصطلاح: فقد عرفها الجعبري في حسن المدد بقوله: وحدُّ الفاصلة: كلمة أخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع»[1].

وفي البرهان للزركشي نجد قوله: «وهي كلمة آخر الآية: كقافية الشعر، وقرينة السجع.

وقال الداني: كلمة آخر الجملة.

وقال القاضي أبو بكر: الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني[2].

ويبدو أن الزركشي يختار قول الجعبري لأنه صدَّر به تعريف الفاصلة، فالفاصلة على تعريف الجعبري: هي الكلمة الأخيرة في الآية، مثل القافية التي تكون آخر بيت الشعر، ومثل السجعة وهو الكلمة الأخيرة في النثر.

وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام، وتسمى «فواصل» لأنه ينفصل عندها الكلامان، وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها، ولم يسموها أسجاعاً.

فأما مناسبة فواصل، فلقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾[3].

إلا أن الداني قد فرق بين معنى الفاصلة ورأس الآية بقوله: «أما الفاصلة فهي الكلام التام المنفصل بعده، والكلام التام قد يكون رأس آية، وغير رأس، وكذا الفواصل يكنَّ رؤوس آي وغيرها، فكل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس

(١) البرهان (١/ ٥٣).

(٢) حسن المدد (١٨).

(٣) البرهان (١/ ٥٣).

آية، فالفاصلة تعم النوعين، وتجمع الضربين [ولأجل كون معنى الفاصلة هذا ذكر سيبويه في تمثيل القوافي ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ و﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ وهما غير رأس آيتين بإجماع، مع ﴿إِذَا يَسْرِ﴾ وهو رأس آية باتفاق][1].

إلا أن الجعبري – رحمه الله – اعترض عليه فيما ذهب إليه من التفريق بين الفاصلة ورأس الآية فقال في كتاب حسن المدد في فن العدد: وحد الفاصلة: كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع، وقال الداني: كلمة آخر الجملة. وهو خلاف المصطلح، ولا دليل له في تمثيل سيبويه بـ ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ و﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ وليسا رأس الآية؛ لأن مراده الفواصل اللغوية لا الصناعية، ويلزم أبا عمرو (أي الداني) إمالة ﴿مَنْ أَعْطَى﴾ لأبي عمرو (أي البصري)[2].

ويقول العلامة طاهر الجزائري (ت١٣٣٨هـ) بعد أن أورد في كتابه (التبيان) كلاماً مقارباً في عباراته لكلام الجعبري، يقول: «وأورد عليه أن ذلك مخالفٌ لمصطلح القراء ولا دليل له في تمثيل سيبويه بـ ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ و﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ وليسا رأس آية؛ لأن مراده الفواصل في مصطلح النحويين وهي عندهم تعم النوعين»[3].

وأما العلامة ابن عاشور فبين رأيه في هذه المسألة بقوله: «والذي استخلصته أن الفواصل هي الكلمات التي تتماثل في أواخر حروفها، أو تتقارب صيغ النطق بها، وتكرر في السورة تكراراً يؤذن بأن تماثلها أو تقاربها مقصود من النظم في آيات كثيرة متماثلة تكثر وتقل وأكثرها قريب من الأسجاع في الكلام المسجوع، والعبرة فيها بتماثل صيغ الكلمات من حركات وسكون، وهي أكثر فيها بالتزام ما لا يلزم في

(١) البيان (ص/ ١٢٦)، وما ا بين المعكوفتين إضافة من كتاب البرهان غير موجود في المطبوع.

(٢) حسن المدد (ص/ ١٨).

(٣) التبيان (ص/ ٢٤٧).

القوافي، وأكثرها جار على أسلوب الأسجاع.

والذي استخلصته أيضاً أن تلك الفواصل كلها منتهى لآيات، ولو كان الكلام الذي تقع فيه لم يتم فيه الغرض المسوق إليه، وأنه إذا انتفى الغرض المقصود من الكلام ولم تقع عند انتهائه فاصلة لا يكون منتهى الكلام نهاية آية إلا نادراً كقوله تعالى: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ . فهذا المقدار من آية وهو لم ينته بفاصلة ومثله نادر، فإن فواصل تلك الآيات الواقعة في أول السورة أقيمت على حرف مفتوح بعده ألف مد بعدها، وفي مثل: شقاق، مناص، كذاب، عجاب.

وفواصل بنيت على حرف مضموم مشبع بواو، أو على حرف مكسور مشبع بياء ساكنة، وبعد ذلك حرف مثل ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ ﴿إِذَا هُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ ﴿نَذِيرٌ﴾ ﴿مُّبِينٌ﴾ ﴿مِّن طِينٍ﴾ فلو انتهى الغرض الذي سيق له الكلام، وكانت فاصلة تأتي بعد انتهاء الكلام تكون الآية غير منتهية ولو طالت كقوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ فهذه جمل كلها عدت آية واحدة»[1]. انتهى.

وقد يطلقون اسم الفواصل على الحروف الأواخر منها، وذلك في مثل قولهم: الفاتحة الميم والنون يريدون أن آخر فواصلها قد يكون حرف الميم نحو: (الرحيم) وقد يكون حرف النون في (نستعين) وقد تصدى كثير من العلماء لبيان فواصل جميع السور على هذا الوجه.

إلا أنَّ بعضهم رأى أن يجمع ما كان منها على أكثر من حرف في كلمة أو كلمتين، فيقول فيما سبق فواصل الفاتحة (من)، وفواصل عمّ (منا)، لأن هذا مع ما فيه من الإيجاز أقرب إلى الحفظ والاستقرار في الذهن»[2].

(١) نقلاً عن التحرير والتنوير (١/ ٤١).

(٢) التبيان للجزائري (٢٠٧).

ومن أبرز الكتب في هذا الجانب كتاب بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت٨١٧هـ) حيث يقول – رحمه الله –: «كل سورة تشتمل على ثمانية متعلقة بالسورة: الأول موضع نزولها، الثاني عدد آياتها وكلماتها، وحروفها، والآيات المختلف فيها، والثالث بيان مجموع فواصلها...» [1].

وقال – رحمه الله – في موضع آخر: «بصيرة في» ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾.

هذه السورة مدنية بإجماع القراء.

وعدد آياتها مائة وخمس وسبعون في عد الكوفي، وست في عد البصري، وسبع في عد الشامي وكلماتها ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وأربعون، وحروفها ستة عشر ألف وثلاثون حرفاً، والآيات المختلف فيها ﴿أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾، ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

مجموع فواصل الآيات (م ل ا ن) يجمعها قولك (ملنا) فعلى اللام آية واحدة ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾ وعلى النون آية واحدة (فيهن) وخمس آيات منها على الميم المضمومة وسائر آياتها على الألف...) [2].

وكذلك كتاب شرح العلامة المخللاتي (ت١٣١١هـ) الموسوم بـ (القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز) وهو شرح لناظمة الزهر للإمام الشاطبي (ت٥٩٠هـ).

حيث يقول العلامة المخللاتي في مقدمة شرحه مبيناً منهجه في كتابه: «ثم إني أذكر – إن شاء الله تعالى – في أول كل سورة اختلاف مكيها ومدنيها ثم أتبع ذلك

(١) بصائر ذوي التمييز (١/ ٨٧).

(٢) بصائر ذوي التمييز (١/ ١١٥).

بترتيب نزولها ثم بنظيرتها في عدد آياتها، ثم بعدِّ كلماتها وحروفها، ثم قاعدة الفواصل، ثم بكمية عددها وما وقع الاختلاف فيه بين العادين...»[1].

ونأخذ مثلاً على ذلك قوله في شرح سورة النساء: «... وقاعدة فواصلها (لو قام) نحو ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾ و﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾، و﴿مُّهِينٌ﴾، و﴿كَبِيرًا﴾، و﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، وعدد آياتها مائة وسبعون، وسبع شامي، وست كوفي، وخمس للباقين»[2].

ومما سبق يتضح أن (للفواصل) عدة إطلاقات:

فالداني يرى أن الفاصة هي آخر الجملة ولا يلزم أن تكون رأس آية، واستدل بكلام لسيبويه على ذلك، والجعبري رد عليه بأن هناك فرقاً بين الفواصل اللغوية والصناعية، وهذا الرأي هو الأصوب والأقرب للصحة.

فمصطلح (الفاصلة) مرادف لمصطلح (رأس آية) وبهذا المعنى مبثوث في كتب علوم القرآن والقراءات والتفسير.

وأقدم نص وقفت عليه في ذلك هو في كتاب (الكامل للهذلي (ت٤٦٥هـ) حيث يقول – رحمه الله –: «حتى إن الآي سميت (فواصل) وإن كانت الآية الجماعة والعلامة، فإن آخرها فاصل يعني أنه يفصل الكلام الأول عن الآخر»[3].

وقد استخدم الإمام الشاطبي – رحمه الله – في ناظمته كلا المصطلحين، ومن ذلك قوله:

وليست رؤوس الآي خافية ... على ذكي بها يهتم في غالب الأمر[4]

(١) القول الوجيز للمخللاتي (٨٩).

(٢) القول الوجيز للمخللاتي (١٨١).

(٣) الكامل (١٠٩).

(٤) ناظمة الزهر، بيت رقم (٣٥).

وقوله كذلك:

فهذا به حلّ الفواصل حاصل وفيما سواه النص يأتيك بالفَسْرِ[1]

كما أن هناك مؤلفات أصلية حملت هذا المصطلح مثل كتاب «بغية الواصل إلى معرفة الفواصل» لسليمان بن عبدالقوي الطوفي (ت٧١٦هـ) وهو مخطوط، أما المتأخر فكثير يصعب حصره في هذا المقام.

وكذلك يعلم أن هناك من يطلق مصطلح (الفواصل) ويريد بذلك الحروف الأواخر في رؤوس الآيات، كما عند الفيروزأبادي في بصائر ذوي التمييز وغيره.

ويمكن أن نخرج بتعريف لعلم الفواصل بـ:

«أنه علم يعرفَ به أحوال آيات القرآن من حيث عدد آي السورة ورؤوسها وخاتمتها».

إلا أنه لا شك أن مصطلح (رأس الآية) أدق وأخص من (الفاصلة) خروجاً من الخلاف وعملاً باللفظ القرآني.

(١) ناظمة الزهر، بيت رقم (٤٦).

المبحث الثاني

الأسماء التي تطلق على هذا العلم

المبحث الثاني

الأسماء التي تطلق على هذا العلم

بالنظر في المؤلفات الأصيلة خصوصاً التي حملت في ثناياها معلومات عن هذا العلم، نجد أن هناك عدة إطلاقات على هذا الفن وكلها متفقة المقصد، فمن هذه الإطلاقات:

١ – علم العدد: وقد سميت مؤلفات أصيلة بهذا الاسم مثل (كتاب العدد) لعطاء بن يسار، (الكتاب عدد المدني الأول) لنافع، (كتاب العدد) لحمزة الزيات [١]، وهذه المؤلفات هي في حكم المفقود. إلا أنه توجد مؤلفات أخر تحمل ذات العنوان موجودة ومتداولة منها:

(كتاب العدد) للإمام الهذلي (ت٤٦٥هـ) [٢] وهو مضمن في كتاب (الكامل)، و(كتاب أقوى العُدد في معرفة العدد) لعلم الدين السخاوي (ت٦٤٣هـ)، وهو ضمن كتاب (جمال القراء وكمال الإقراء) [٣] و(كتاب حسن المدد في فن العدد) للعلامة إبراهيم الجعبري (ت٧٣٢هـ) وهو مطبوع بهذا الاسم، وذكره الزركشي في البرهان باسم: (المدد في معرفة العَدد) [٤].

٢ – علم عدد آي القرآن: ومن أقدم المؤلفات التي وسمت بهذا العنوان (كتاب عدد آي القرآن) ليحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ) وهو مخطوط [٥]، و(كتاب عدد

(١) الفهرست لابن النديم (ص/ ٥٦).

(٢) الكامل للهذلي (١٠٢).

(٣) جمال القراء وكمال الإقراء (ص/ ١٨٩).

(٤) انظر: البرهان (١/ ٢٦٦).

(٥) توجد منه نسخة بمكتبة تشستربتي في إيرلندا برقم (٦/ ٤٧٨٨)، ونسخة في معهد المخطوطات العربية برقم (٤٦) عن فاتح ٩١.

آي القرآن) لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) وهو في حكم المفقود، و(كتاب البيان في عدد آي القرآن) للداني (ت٤٤٤هـ)، وهو من الكتب الأصيلة في هذا العلم، والعُمَد في هذا الفن.

ومن كتب المتأخرين (تحقيق البيان في عد آي القرآن) للإمام المتولي (ت١٣١٣هـ) وهو مخطوط، ولم يطبع بعد - فيما أعلم -.

وهذا المصطلح (آي القرآن) يكثر دورانه في ثنايا كتب المفسرين، بل إن تفسير الإمام ابن جرير الطبري حمل عنوان (جامع البيان عن تأويل آي القرآن بالقرآن).

٣ - علم الفواصل أو فواصل الآي: وسبق في المبحث الأول تحرير مصطلح (الفاصلة) ومن أقدم المؤلفات التي حملت هذا الاسم كتاب (بغية الواصل إلى معرفة الفواصل) لسليمان بن عبدالقوي الطوفي (ت٧١٦هـ) وهو مخطوط[1].

ومن كتب المتأخرين (القول الوجيز في معرفة فواصل الكتاب العزيز) للمخللاتي (ت١٣١١هـ) وهو شرح على ناظمه الزهر للإمام الشاطبي. وقد يكون هذا المصطلح (علم الفواصل) أكثر شهرة وتداولاً عند المتأخرين في هذا الوقت.

(١) توجد منه نسخة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

المبحث الثالث

كيفية معرفة رؤوس الآية

المبحث الثالث
كيفية معرفة رؤوس الآية

هذه المسألة من أهم مسائل هذا العلم، والخلاف فيها يؤثر في غيرها، وسأعرض أقوال ومذاهب العلماء في هذه المسألة، ثم أذكر الراجح منها، فأقول وبالله التوفيق:

كان رسول الله ﷺ يرتل ويبين قراءته إذا قرأ القرآن، ويقطع قراءته ويقف على رؤوس الآي، وقد ثبت ذلك عنه ﷺ في أحاديث عديدة، فعن أم سلمة – رضي الله عنها – قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بفاتحة الكتاب يعدها بيده سبعاً بالعربية، يعد (بسم الله الرحمن الرحيم) آية بيده.

وأخرج الترمذي عن أم سلمة – رضي الله عنها – أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته يقول: الحمد لله رب العالمين، ثم يقف، الرحمن الرحيم، ثم يقف، وكان أصحاب النبي ﷺ على علم برؤوس الآي ومحلها، وقد وردت آثار عديدة تدل على هذا، في صحيح البخاري عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال: إذا سرَّك أن تعلم جهل العرب فاقرأ فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ الآية.

وفي صحيح البخاري كذلك عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال: بتُّ عند خالتي ميمونة، فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد، فلما كان ثلث الليل الآخر قعد، فنظر إلى السماء فقال: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ الحديث. وجاء في رواية أخرى: فقرأ العشر الأواخر من آل عمران حتى ختم.

وأخرج أبو يعلى في مسنده عن المسور بن مخرمة أنه قال: قلت لعبدالرحمن بن عوف: يا خال، أخبرني عن قصتكم يوم أحد، قال: اقرأ بعد العشرين ومائة من آل عمران، تجد قصتنا ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾.

وعن أبي برة – رضي الله عنه – قال: كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر ما بين الستين والمائة.

وعن زيد بن ثابت – رضي الله عنه – قال: تسحرنا مع النبي ﷺ ثم قام إلى الصلاة، قلت: كم كان بين الأذان والسحور: قال: قدر خمسين آية. والآثار في ذلك كثيرة[1]، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

وعن صحابة رسول الله ﷺ الكرام أخذ التابعون الأعلام (علم العدد)، فقد كان بعض الصحابة يعلم من يقرأ عليه العدد كما يعلمه القرآن.

وأورد صاحب الكامل أثراً عن ابن مسعود – رضي الله عنه – «العدد مسامير القرآن»[2]. وعلى منهاجهم سار التابعون، فقد كان أبو عبدالرحمن السلمي – رحمه الله – يعلّم من يقرأ عليه العدد كما يعلمهم القرآن[3]، وكان عاصم إذا قرئ عليه أخرج يده فعد. وكان يعقوب بن إسحاق الحضرمي يأخذ على أصحابه بعدد الآي، فإذا أخطأ أحدهم في العدد أقامه[4]. ولا شك أن لهم في صحابة رسول الله ﷺ أسوة حسنة وقدوة مستحسنة.

وأما مذاهب العلماء في هذه المسألة فهي كالآتي:

١ – القائلون بأن معرفة الآيات أمر توقيفي صرفة ولا مجال للقياس ولا للاجتهاد

(١) انظر على سبيل المثال: البيان للداني (٢١ – ٣٢)، التبيان للجزائري (٢٠١ – ٢٠٣).

(٢) ينظر: الكامل للهذلي (ص/ ١٠٢).

(٣) ينظر: البيان للداني (ص/ ٤٨).

(٤) ينظر: البيان للداني (ص/ ٣٩).

فيه، يقول الداني – رحمه الله – في كتابه البيان بعد أن أورد آثاراً في ذكر جمل آي من السور: «ففي هذه السنة والآثار التي اجتلبناها في هذه الأبواب مع كثرتها واشتهار نقلتها دليل واضح، وشاهد قاطع على أن ما بين أيدينا مما نقله إلينا علماؤنا عن سلفنا من عدد الآي ورؤوس الفواصل والخموس والعشور وعدد جمل آي السور على (اختلاف ذلك واتفاقه) مسموع من رسول الله ﷺ ومأخوذ عنه، وأن الصحابة – رضوان الله عليهم – هم الذين تلقوا ذلك منه كذلك تلقياً كتلقيهم منه حروف القرآن واختلاف القراءات سواء، ثم أداه التابعون – رحمة الله عليهم – على نحو ذلك إلى الخالفين أداءً، فنقله عنهم أهل الأمصار وأدوه إلى الأمة، وسلكوا في نقله وأدائه الطريق التي سلكوها في نقل الحروف وأدائها من التمسك بالتعليم بالسماع دون الاستنباط والاختراع، ولذلك صار مضافاً إليهم، ومرفوعاً عليهم دون، كإضافة الحروف وتوقيفها سواء، وهي إضافة تمسك ولزوم وابتاع لا إضافة استنباط واختراع»[1].

ويقول الزمخشري في تفسيره «الكشاف»: (فإن قلت: ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض؟ قلت: هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه، كمعرفة السور)[2].

ويقول علم الدين السخاوي في جمال القراء: «فإن قيل: فما الموجب لاختلافهم في عدد الآي؟ قلت: النقل والتوقيف، ولو كان ذلك راجعاً إلى الرأي لعد الكوفيون ﴿الٓر﴾ آية، كما عدوا ﴿الٓمٓ﴾ وكيف عدوا ﴿الٓمٓصٓ﴾ ولم يعدوا ﴿الٓمٓرٰ﴾ وما لهم لم يعدوا ﴿صٓ﴾ و﴿قٓ﴾ و﴿نٓ﴾ كما عدوا ﴿طسٓمٓ﴾ و﴿طه﴾

(١) البيان (ص/ ٤٨).

(٢) تفسير الكشاف (١/ ٧٣).

و﴿يٰسٓ﴾وكيف عدوا ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ آية واحدة وعدوا ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ آيتين، وقد مر في السور من هذا كثير يدلل على التوقيف[1].

ويقول كذلك: «فإن قيل فلو كان ذلك توقيفياً لم يقع فيه اختلاف، قلنا: الأمر في ذلك على نحو من اختلاف القراءات، وكلها مع الاختلاف راجع إلى النقل»[2].

ويقول الإمام الطاهر بن عاشور في تفسيره (التحرير والتنوير): «... لإدخال بعض فواتح السور من الحروف المقطعة فقد أكثرها في المصاحف آيات ما عدا: الر، والمر، وطس **وذلك أمر توقيفي وسنة متبعة**»[3].

والنصوص في هذا كثيرة، والنقول وفيرة، لكني على ما سبق اقتصرت خشية الإطالة.

٢ - وخالف الجعبري المذهب الذي سبق فقال: لمعرفة الفواصل طريقان: توقيفي وقياسي:

أما التوقيفي فما ثبت أنه ﷺ وقف عليه دائمً تحققنا أنه فاصلة، وما وصله دائماً تحققنا أنه ليس بفاصلة، وما وقف عليه مرة ووصله أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريف الفاصلة أو لتعريف الوقف التام أو للاستراحة، والوصل أن يكون غير فاصلة أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها.

وأما القياسي: فهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص ولا محذور في ذلك؛ لأنه لا زيادة ولا نقصان، إنما غايته أنه محل فصل أو وصل، والوقف على كل كلمة جائز، ووصل القرآن كله جائز، فاحتاج القياس إلى طريق تعرفه فنقول:

(١) جمال القراء (١/ ٢٣١ - ٢٣٢).

(٢) جمال القراء (١/ ٢٣٢).

(٣) نقلاً من تفسير التحرير والتنوير (١/ ٤٠).

فاصلة الآية كقرينة السجعة في النثر وقافية البيت في الشعر، وما يذكر من عيوب القافية من اختلاف الحركة والإشباع والتوجيه فليس بعيب في الفاصلة، وجاز الانتقال في الفاصلة والقرينة وقافية الأرجوزة من نوع إلى آخر بخلاف قافية القصيدة، ومن ثم ترى ﴿يَرْجِعُونَ﴾ مع ﴿عَلِيمٌ﴾ و﴿ٱلْمِيعَادَ﴾ و﴿ٱلثَّوَابِ﴾ و﴿ٱلطَّارِقُ﴾ مع ﴿ٱلثَّاقِبُ﴾، والأصل في الفاصلة والقرينة المتجردة في الآية والسجعة (المساواة) ومن ثم أجمع العادون على ترك عد ﴿وَيَأْتِ بِتَاخَرِينَ﴾، ﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ في النساء.

﴿كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ بسبحان، ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بمريم، و﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ بطه، و﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ بالطلاق حيث لم يشاكل طرفيه.

وعلى ترك عد ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ بآل عمران، و﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ بالمائدة، وعدوا نظائر للمناسبة نحو: ﴿لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ بآل عمران، و﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بالكهف ﴿وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ بطه[1].

فعلى القول يكون لمعرفة رؤوس الآيات أربعة طرق:

١ – المساواة بين الآية والسورة طولاً وقصراً وبين الآية وما قبلها وما بعدها من ايات تلك السورة كذلك.

٢ – المشاكلة لما قبلها وما بعدها في الحرف الأخير أو ما قبله.

٣ – انقطاع الكلام كما يؤخذ من كلام الداني في تعريف الفاصلة من أنها الكلام فصل عما بعده.

- اتفاقهم على عد نظير ذلك رأس آية في تلك السور أو في غيرها.

[1] ظر: الإتقان للسيوطي (٢/ ٣٣٤)، حسن المدد للجعبري (٤٤/ ٤٥).

وهذه الطرق قد توجد كلها في آية واحدة، وقد يوجد بعضها، وأنها إنما يصار إليها عند (عدم النص) على كون ما ذكر رأس آية أو ليست برأس آية، فإن وجد نص فيعمل بدونها لأن جانب التوقيف راجح في هذا الفن[1].

وقد يتوجه في بعض المواضع في الكلمة أمران، أحدهما يقتضي عدها من الفواصل والآخر يقتضي خلاف ذلك، فيعدها بعضهم دون بعض[2].

ومن ذلك:

(نحن مصلحون) في القرة، عده غير الشامي لمشاكلته لما قبله ولما بعده وهما يكذبون، ويشعرون. ولم يعده الشامي لتعلقه بما بعده من جهة المعنى.

ومن ذلك:

(الحي القيوم) في آية الكرسي، عده المدني الأخير والمكي والبصري لمشاكلته لما بعده وهو العظيم، ولانعقاد الإجماع على عد نظيره في أول آل عمران، ولم يعده الباقون مراعاة لظاهر الأثر، فإنه ورد فيه تسميتها بآية الكرسي وذلك يشعر بكونها آية واحدة[3].

يقول العلامة الطاهر بن عاشور في تفسيره: «فأما ما اختلف السلف فيه من عدد آيات القرآن على الاختلاف في نهاية بعضها، فقد يكون بعض ذلك عن اختلاف في الرواية كما قدمنا آنفاً، وقد يكون بعضه عن اختلاف الاجتهاد»[4].

أما على القول الأول وهو التوقيف، فإن القواعد السابقة وهي المساواة، المشاكلة، انقطاع الكلام، عد النظير) فهي تساعد على معرفة رؤوس الآي ومعينة

(١) شرح المخللاتي (ص/ ١٤٧).

(٢) التبيان بتصرف (ص/ ١٩٩).

(٣) التحرير والتنوير (١/ ٧٦).

(٤) التحرير والتنوير (١/ ٧٦).

على تحديد أماكنها للقارئ، وأقرب إلى الحفظ والفهم واستقرار الذهن، كما صنع الفيروزأبادي وغيره من جمع حروف فواصل كل سورة ووضع ضابط جامع لها.

ويبين الشيخ طاهر الجزائري رأيه في هذه المسألة فيقول: «والظاهر أن أكثر الفواصل قد أثبتت بطريق النظر والاجتهاد، فإن قيل: إن هذا يقتضي أن يكون الخلاف فيها كثيراً جدا، والأمر ليس كذلك.

قيل: إنما يكون الخلاف كثيراً جداً في الأمور الغامضة البعيدة المدرك، والفواصل في أكثر المواضع ليست كذلك، قال الإمام الشاطبي في قصيدته المسماة بناظمة الزهر:

وليست رؤوس الآي خافية على ذكيٍّ بها يهتم في غالب الأمر

فإن قيل:

قد ثبت أن العادين اتفقوا في مواضع على عدة كلمات من الفواصل، وهي لا تشبه الفواصل، كما اتفقوا في مواضع على ترك عد كلمات من الفواصل، قيل: إن ذلك لا يستبعد أن يكون مما وقفوا فيه على أثر يقتضي ذلك.

ولنذكر لك شيئاً من ذلك إتماماً للفائدة:

فمما اتفقوا على عده من الفواصل وهو لا يشبه الفواصل: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا﴾ في سورة النساء، وذلك لأن فواصلها مبنية على الألف، نحو رقيباً، وكبيراً، ومرئياً، وتعولوا ليست كذلك.

ومما اتفقوا على ترك عده من الفواصل وهو يشبه الفواصل: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ في سورة البقرة فإنه يشاكل ما قبله وهو: مصلحون، وما بعده وهو: يشعرون[1].

(١) التبيان للجزائري (ص/ ٢٠٣ – ٢٠٤) بتصرف يسير.

وقد أشار إلى هذين المذهبين في المسألة غير واحد من المؤلفين في علوم القرآن أذكر منهم على سبيل الاختصار: الزركشي في البرهان[1]، والسيوطي في الإتقان[2]، والجزائري في التبيان، والزرقاني في مناهل العرفان[3] وغيرهم كثير.

ولم أجد – فيما وقفت عليه – قولاً ثالثاً في هذه المسألة إلا ما حكاه السخاوي في كتابه (جمال القراء) حيث يقول: «وقد صنف عبيدالله بن محمد الناقط كتاباً اعتمد فيه على قياس رؤوس الآي، فما رآه موافقاً للقياس عده، وما كان على خلاف ذلك اختار تركه، مثال ذلك أنه قال: في سورة النساء في قوله عز وجل: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ عدها أهل الكوفة قال: والقياس تركها ونحن لا نعدها، قال: لأنها ليست متسقة على ما قبلها ولا ما بعدها والكتاب كله ذلك»[4].

فيفهم من صنيع هذا الرجل «عبيدالله بن محمد الناقط» اعتماده على مبدأ القياس المحض وعدم الالتفات إلى غيره.

فهذا اجتهاد محض منه، ولا شك أن كل قول بلا دليل لا يلتفت إليه.

وأما الراجح في المسألة، والذي يطمئن إليه القلب، وتميل إليه النفس، وتدعمه الأدلة العقلية والنقلية فهو القول بأن معرفة فواصل الآيات (علم توقيفي لا مجال للقياس فيه)، يقول الداني في كتابه البيان:

«وقد زعم بعض من أهل التفتيش عن الأصول، وأغفل إنعام النظر في السنن والآثار، أن ذلك كله معلوم من جهة الاستنباط، ومأخوذ أكثره من المصاحف دون التوقيف والتعليم من رسول الله ﷺ.

(١) ينظر البرهان (١/ ٩٨).

(٢) الإتقان (١/ ٢٣٠).

(٣) مناهل العرفان (١/ ٢٣٦ – ٢٣٧).

(٤) جمال القراء (١/ ٢٣٢).

وبطلان ما زعمه وفساد ما قاله غير مشكوك فيه عند من له أدنى فهم، وأقل تمييز إن كان المبيِّن عن الله – عز وجل – قد أفصح بالتوقيف بقوله – عليه السلام – (من قرأ آية كذا وكذا، من قرأ الآيتين، ومن قرأ الثلاث الآيات، ومن قرأ العشر إلى كذا، ومن قرأ ثلاث مائة آية إلى خمس مائة إلى ألف آية وأشباه ذلك، مما قد مضى بأسانيده من قوله ﷺ.

ألا ترى أنه غير ممكن ولا جائز أن يقول ذلك لأصحابه الذين شهدوه وسمعوا ذلك منه إلا وقد علموا للمقدار الذي أراده وقصده، وأشار إليه، عرفوا ابتداءه وأقصاه ومنتهاه، وذلك بإعلامه إياهم عند التلقين والتعليم برأس الآية، وموضع الخمس ومنتهى العشر ولا سيما أن نزول القرآن كان مفرقاً، خمساً خمساً، وآية، وآيتين، وثلاثاً، وأربعاً، وأكثر من ذلك على ما فرط من قبل، وقد أفصح الصحابة – رضي الله عنهم – بالتوقيف بقولهم: إن رسول الله ﷺ كان يعلمهم العشر كاملاً في فور واحد، ومفرقاً في أوقات، وكيف كان ذلك فعنه أخذوا رؤوس الآي آية آية.

إذا كان ذلك كذلك، ولا يكون غيره، بطل ما قاله من قدمناه، وصح ما قلناه، وكذلك القول عندنا في تأليف السور وتسميتها وترتيب آيها في الكتابة أن ذلك توقيف من رسول الله ﷺ وإعلام منه به، لتوفر مجيء الأخبار بذلك، واقتضاء العادة بكونه كذلك، وتواطؤ الجماعة، واتفاق الأمة عليه، والله الموفق[1].

ويقول السيوطي – رحمه الله – في الإتقان:

« قلت: ومما يدل على أنه توقيفي ما أخرجه أحمد في مسنده من طريق عاصم بن أبي النجود عن زرعة بن مسعود قال: أقرأني رسول الله ﷺ سورة من الثلاثين

(١) البيان (ص ٣٩ – ٤٠).

من آل حم يعني الأحقاف، قال: وكانت السورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سميت الثلاثين... الحديث.

وقال ابن العربي: «ذكر النبي ﷺ أن الفاتحة سبع آيات، وسورة الملك ثلاثون آية، وصح أنه قرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران، قال: وتحديد الآي من معضلات القرآن، ومن آياته طويل وقصير، ومنه ما ينهي إلى تمام الكلام ومنه ما يكون في أثنائه»[1].

وكذلك مما يعضد القول بالتوقيف وضع الصحابة - رضي الله عنهم - نقاطاً ثلاثاً للدلالة على مكان رأس الآية، وقد ذكر الداني بسنده عن يحيى بن أبي كثير قال: ما كانوا يعرفون شيئاً مما أحدث في هذه المصاحف إلا هذه النقط الثلاث عند رؤوس الآي.

قال الداني: وهذه الأخبار كلها مؤذن بأن التعشير والتخميس وفواتح السور ورؤوس الآي من عمل الصحابة رضي الله عنهم، فأداهم إلى عمل الاجتهاد[2].

(١) الإتقان (١٠/ ٢٣٠).

(٢) البيان (ص/ ١٣١).

المبحث الرابع

الأعداد المتداولة في هذا العلم

المبحث الرابع
الأعداد المتداولة في هذا الفن

عدد سور القرآن الكريم بالاتفاق مائة وأربعة عشر سورة، وأما عدد الآيات فإن صدر الأمة وأئمة السلف من العلماء والقراء كانوا ذوي عناية شديدة في باب القرآن وعلمه حتى لم يبق لفظ ومعنى إلا بحثوا عنه حتى الآيات والكلمات والحروف فإنهم حصروها وعدُّوها، وبين القراء في ذلك اختلاف لكنه لفظي لا حقيقي[1].

وتقدم بيان سبب الخلاف في ذلك وهو أن النبي ﷺ كان يقف على رؤوس الآي للتوقيف، فإذا عُلم محلها وصل للأصالة والتمام، فيحسب السامع أنها ليست فاصلة وأيضاً نزلت البسملة مع السور في بعض الأحرف السبعة، فمن قرأ بحرف نزلت فيه عدها، ومن قرأ بغير ذلك لم يعدها، وكل ذلك متلقى ومسموع منه ﷺ، أخذه عنه صحابته الأجلاء، وعنهم أخذه التابعون الألبّاء.

يقول العلامة الجعبري في حسن المدد: «والذين انتهت إليهم طبقته ووقفت عليهم روايته بالأمصار، وهم عشرة:

فمن مكة اثنان: أبو معبد عبدالله بن كثير، ومجاهد بن جبر.

ومن المدينة أربعة: أبو جعفر يزيد بن القعقاع، وأبو نصاح شعبة بن نصاح، وأبو عبدالرحمن نافع بن عبدالرحمن، وإسماعيل بن جعفر.

ومن الكوفة: أبو عبدالرحمن عبدالله بن حبيب السلمي.

ومن البصرة: عاصم بن العجاج الجحدري.

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز (١/ ٥٥٨ – ٥٦٠).

ومن الشام ثلاثة: أبو عمران عبدالله بن عامر اليحصبي الدمشقي، وأبو حيوة شريح بن يزيد الحضرمي، ويحيى بن الحارث الذماري.

فهؤلاء هم الذين تصدوا لتعليمه فاشتهر عنهم ودار عليهم مع ما انضم إليهم من حفظ والضبط والدين وسلامة العقائد وحسن السيرة دون من فوقهم وتحتهم في سلسلة السند، ولو عُزي إلى غيرهم لكان صواباً كما كان أمر الأئمة السبعة الناقلين لوجوه القراءات»[1].

وأوردت كلام الجعبري السابق دون غيره من المنصوص والنقول التي ذكرت أسماء العلماء من التابعين الذين اشتهروا بهذا العلم، لأن من ذكرهم الجعبري هم من عليهم مدار الأسانيد في هذا العلم.

ولم أقف في الكتب المطبوعةعلى من ذكر أسانيده في هذا العلم إلا:

١ – الحافظ أبو عمرو الداني (ت٤٤٤هـ) في كتابه (البيان في عد آي القرآن)[2].

٢ – الإمام أبو القاسم يوسف بن علي الهذلي (ت٤٦٥هـ) في كتابه (الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها) [3].

٣ – العلامة إبراهيم بن عمر الجعبري (ت٧٣٢هـ) في كتابه (حسن المدد في ن المدد) ويتصل إسناده بالداني[4].

ويلحظ للمتأمل في سندي الداني والهذلي اختلافاً في رأس السند واتفاقاً في آخر السند أو من ينسب إليه العدد.

والذي عليه العمل والمعول هو ما ذكره الحافظ الداني في كتابه (البيان)، ثم

(١) ينظر: حسن المدد (٢٧ – ٢٨) بتصرف يسير.

(٢) انظر: البيان (ص/ ٧١ – ٧٢).

(٣) ينظر: الكامل (ص/ ١٠٩ – ١١١).

(٤) ينظر: الحسن المدد (ص/ ٢٩).

إن الأعداد التي يتداولها الناس ويعدون بها في سائر الآفاق ستة، على عدد المصاحف الموجه بها إلى الأمصار على أصح الأقوال فيها، ولذلك كان لأهل المدينة الشريفة عددان، وواحد لأهل مكة، وواحد لأهل الشام، وواحد لأهل الكوفة، وواحد لأهل البصرة[1].

فأما عدد المدينة الأول: فهو ما رواه الحافظ الداني بسنده عن أهل الكوفة عن أهل المدينة ولم يسمِّ أهل الكوفة في ذلك أحداً يسندونه إليه[2]. وكانوا يأخذون به (أي أهل الكوفة) وإن كان لهم عدد مخصص بهم[3].

وأما عدد أهل المدينة الأخير: فهو ما رواه الحافظ الداني بسنده عن إسماعيل بن جعفر عن سليمان بن جماز عن أبي جعفر وشيبة بن نصاح[4] وبينها خلاف في ست آيات.

« قال ابن المنادي: أما المدني الأول فلا ندري على الحقيقة في أي زمن هو، وكأنه عدد صحابي متوافق عليه، ولكثرة أهله لم يعرف إلى أحد مسمى، فإن كان قبل اكتتاب المصحف فهو مأخوذ من أفواه الرجال، وإن كان عن مصحف فهو مأخوذ قبل استنساخه كتباً.

فلما نشأ أبو جعفر وشيبة اختارا من عد الماضين كما اختارا من الحروف »[5].

وأما عدد أهل مكة: فهو ما رواه الحافظ الداني بسنده إلى ابن كثير أحد القراء السبعة عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب رضي الله عنهم.

(١) انظر: شرح المخللاتي (ص/ ١٠٤).

(٢) البيان (ص/ ٧١).

(٣) ينظر: التبيان للجزائري (ص/ ٢٠٥).

(٤) ينظر: البيان للداني (ص/ ٧١).

(٥) فنون الأفنان لابن الجوزي (ص/ ٩٥).

وأما عدد أهل الكوفة: فهو ما رواه الحافظ بسنده عن حمزة الزيات أحد القراء السبعة وهو منسوب إلى أبي عبدالرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وأما عدد أهل البصرة: فهو ما رواه الحافظ بسنده إلى عاصم بن العجاج الجحدري، وينسبه أهل البصرة بعد عاصم إلى أيوب بن المتوكل وعليه مصاحفهم.

وأما عدد أهل الشام: فهو ما رواه الحافظ بسنده إلى يحيى بن الحارث الذماري، وهو منسوب إلى عبدالله بن عامر اليحصبي عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

قال الداني بعد أن ساق أسانيده في أعداد الآي: «وهذه الأعداد وإن كانت موقوفة على هؤلاء الأئمة فإن لها لا شك مادة تتصل بها، وإن لم نعلمها من طريق الرواية والتوقيف كعلمنا بمادة الحروف من الاختلاف، إذ كان كل واحد منهم قد لقي غير واحد من الصحابة وشاهده وأخذ عنه، وسمع منه، أو لقي من لقي الصحابة، مع أنهم لم يكونوا أهل رأي واختراع بل كانوا أهل تمسك واتباع»[1].

وهذه هي الأعداد المشهورة في علم عد الآي هي ستة، وأشهرها وأتمها العدد الكوفي، وقد عرضه الداني على شيخه – أبي الفتح فارس بن أحمد – مرتين من أول القرآن إلى آخره[2].

أما العدد الحمصي فلم يسنده الداني في البيان، وإنما ذكره بقوله: «ولأهل حمص عدد سابع، كانوا يعدون به قديماً، وافقوا في بعضه أهل دمشق، وخالفوهم في بعضه، وأوقفته جماعتهم على خالد بن معدان – رحمه الله – وهو من كبار تابعي

(١) البيان (ص/ ٧٠).

(٢) ينظر: البيان (ص/ ٧١).

الشاميين»[1].

«والظاهر أن كل واحد من أئمة العدد كان يعتبر العدد المنسوب إلى بلده»[2].

ويظهر أن الداني لم يعتمده في كتابه ضمن الأعداد لعدم شهرته وقلة الآخذين به أو لعدم اتصال الرواية والسند به، وتبعه في ذلك الشاطبي في ناظمة الزهر؛ لأن الشاطبي تتبع في نظمه ما نقله الفضل بن شاذان، والفضل لم يتعرض للعدد الحمصي[3].

وقد ذكره الهذلي صاحب الكامل ضمن الأعداد في كتابه، وإن حكم عليه بالشذوذ حيث يقول: «وأما عد أهل حمص فوصل إلينا من طريق ابن شنبوذ ... ابن ... عن ابن خالد عن يزيد بن قطب وهو شاذ»[4].

وكذلك أشار أبي الحسن بن علي العماني في كتابه (الأوسط في علم القراءات) حيث يقول: «وعدد أهل الشام منسوب إلى يحيى بن الحارث الذماري بسنده إلى عثمان بن عفان، وربما يختلف أهل حمص وأهل دمشق والفريقان من أهل الشام»[5].

وعلى عدم ذكره ضمن الأعداد المتداولة في هذا الفن أكثر المؤلفين.

وأما عدد آي القرآن فقد اتفق العادّون على أنه ستة آلاف ومائتا آية وكسر إلا أنهم اختلفوا في هذا الكسر باختلاف أعدادهم وهي كالآتي:

١ - العدد المدني الأول: (٦٢١٧ آية) وهي رواية عن أهل المدينة، وبه كان يعد القدماء من أصحاب نافع.

(١) نقلاً عن البيان للداني (ص/ ٧٠).

(٢) التبيان (ص/ ٢٠٧).

(٣) انظر: بشير اليسر (ص/ ٧٠).

(٤) الكامل للهذلي (ص/ ١١٠).

(٥) الكتاب الأوسط في علم القراءات (ص/ ٤٧٨).

٢ – العدد المدني الأخير (٦٢١٤ آية) عند شيبة بن نصاح (٦٢١٠ آية) عند أبي جعفر يزيد بن القعقاع، وقد وقع بينهما خلاف في ست آيات عدَّ أبو جعفر منهن واحدة وترك خمساً.

وعد شيبة خمساً منهن، وترك واحدة وهي كالآتي:

١ – سورة آل عمران ﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.

٢ – سورة الصافات ﴿وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾.

٣ – سورة الملك ﴿قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾.

٤ – سورة عبس ﴿إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾.

٥ – سورة التكوير ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾.

عد هذه الخمس شيبة وتركها أبو جعفر.

٦ – سورة آل عمران (مقامُ إبراهيم) عدها أبو جعفر، وتركها شيبة.

والذي عليه العمل هو عد شيبة (٦٢١٤ آية) قال السخاوي: «وجملنا ذلك كله للمدني الأخير وهو عدد إسماعيل بن جعفر المدني فكان ستة آلاف ومائتي آية وأربع عشرة آية»[١].

وهو الذي اعتمده الداني في كتابه وقدمه، ثم ذكر ما يخالفه حيث يقول:

«ولما سألنا تأليف هذا الكتاب وجهود أهل بلدنا وكانوا متبعين لما كان عليه سلفهم بالتمسك بمذاهب أهل المدينة والاقتداء بهم، جعلنا فرش عدد آي السور ورؤوس الآية والخموس والعشور على عدد أهل المدينة الذي رواه سلفهم عنهم، دون غيره مما رواه من ليس منهم، وهو العدد الذي يسمى بالأخير»[٢].

(١) جمال القراء (ص/ ٢٣١).

(٢) البيان للداني (ص/ ٧٤).

قال السخاوي: «وعليه الآخذون لقراءة نافع اليوم وبه ترسم الأخماس والأعشار وفواتح السور في مصاحف المغرب»[1].

٣ – العدد المكي: وفي هذا العدد روايات مختلفة بين من أورده حتى عند الداني حيث ذكر فيه – رحمه الله – عدة روايات فيقول:

«ذكر عدد المكي: قال الفضل: وعدد آي القرآن في قول المكيين ستة آلاف آية ومئتان وتسع عشرة آية، وفي قول أبي بن كعب ستة آلاف ومئتان وعشر آيات أخبرنا أبو الفتح.... عن ابن عباس قال: عدد آي القرآن ستة آلاف ومئتا آية وست عشرة آية...»[2].

وفي بعض كتب علوم القرآن (عشرون آية) كما في فنون[3] الأفنان في علوم القرآن لابن الجوزي والتبيان[4] للجزائري وغيرهما.

وتحرير القول في المسألة كالآتي:

(٦٢١٩) آية هو ما عليه جمهور المكيين وتقدم ما نقله الداني عن الفضل في ذلك، ولم يذكر الداني في أرجوزته المنبهة سواه[5] وقال عنه الشيخ محمد الحسيني:

وعدد آيات القرآن فيه على أصح الأقوال (٦٢١٩) ستة آلاف ومئتان وتسع عشرة[6]. وتابع الداني في ذلك كثيرون.

(٦٢١٠) آية وهو ما يسنده الداني إلى أبي بن كعب رضي الله عنه.

(١) جمال القراء (ص/ ١٨٩).

(٢) البيان للداني (ص/ ٧٩ – ٨٠) بتصرف يسير.

(٣) فنون الأفنان لابن الجوزي (ص/ ٩٧).

(٤) التبيان (ص/ ٢٠٧).

(٥) انظر: الأرجوزة للداني بيت رقم (١٢٤٣).

(٦) سعادة الدارين في بيان وعد آي معجزة الثقلين (ص/ ١٢).

وقال عنه الهذلي في كتابه الكامل: «وفي عدد أهل مكة الباقين منهم عشرة»[1].

وهذا ما عليه العمل والمعتمد في العدد المكي خصوصاً ونحن نعتمد على ما في (البيان) للداني وهو ما أسنده، وعليه سار المتأخرون كالقسطلاني في لطائف الإشارات، والدمياطي في إتحاف فضلاء البشر، والمتولي في تحقيق البيان، والقاضي في مؤلفاته، وغيرهم.

أما الروايات الأخر وهي (٦٢١٦) آية وهي التي يسندها الداني إلى ابن عباس – رضي الله عنهما – فلم تشتهر كغيرها.

وأما عدد (٦٢١٩) و(٦٢٢٠) فالذي يظهر لي أن الخلاف بينها في (البسملة) فمن قرأ بحرف نزلت فيه عدها، ومن قرأ بغير ذلك لم يعدها.

وهناك روايات أخر لم أذكرها خشية الإطالة.

وعلى كل فالخلاف بين كل ما سبق هذا اختلاف رواية لا غير، كالخلاف في القراءات، ثم تظهر مسألة الاختيار في روايات الأعداد، واشتهار عدد دون آخر، حتى تكون روايته هي الأكثر والأشهر.

٤ – العدد الكوفي: وهو في جميع أقوال الكوفيين (٦٢٣٦ آية) وهم أتم الأعداد وأشهرها، ولا يخفى ذلك للإجماع عليه وارتباطه بقراءة عدة أئمة. خصوصاً (رواية حفص) أكثر الروايات انتشاراً، وفيه يقول الأندرابي (٤٧٠هـ) في إيضاحه: «اعلم أن عدد أهل الكوفة أعلى الأعداد إسناداً وأصحها في القياس تأويلاً»[2].

(١) الكامل للهذلي (١/ ١٠٣).

(٢) نقلاً عن مقدمة تحقيق كتاب القرآن وعد آياته لابن زنجلة.

٥ – العدد الشامي: ذكر الداني في (البيان) روايتين مسندتين وهما:

- (٦٢٢٦) آية بسنده عن سويد بن عبدالعزيز عن يحيى بن الحارث الذماري.

- (٦٢٢٥) آية بسنده عن صدقة عن يحيى بن الحارث الذماري وفيه قال ابن ذكوان: «فظننت يحيى لم يعد بسم الله الرحمن الرحيم»[١].

اقتصر الداني على الرواية الثانية (٦٢٢٥) آية في أرجوزته المنبهة[٢]، وكذلك الجعبري في حسن المدد[٣].

وزاد بعضهم روايات أخرى مثل قول صاحب الكامل:

«وفي عدد أيوب عن تميم (قرأ على يحيى الذماري وغيره) أربع وعشرين»[٤].

وقول السخاوي: «... وجمعناه على عدد أهل الشام فكان ستة آلاف ومائتي آية وسبعاً وعشرين»[٥]. وهذه الروايات لم يذكرها الداني، والذي يترجح هو رواية (٦٢٢٥) آية لأن الشامي لا يعد البسملة آية من سورة الفاتحة بل المذهب ترك عدها، ومما يجدر التنبيه عليه أن العماني صاحب كتاب (الأوسط في علم القراءات) لم يعتمده ضمن الأعداد في كتابه، وأشار إلى شذوذه، ويعلَّل ذلك: بعدم اشتهاره أو اتصال الرواية به...

٦ – العدد البصري: وفيه روايتان ذكرهما الداني في (البيان):

(٦٢٠٥) آية وهي التي تنسب إلى عاصم الجحدري. قال الداني: وذلك على

(١) ينظر: البيان للداني (/ ٨٢).

(٢) ينظر: الأرجوزة المنبهة بيت رقم (١٢٤٦).

(٣) ينظر: حسن المدد (ص/ ٣٠).

(٤) الكامل (ص/ ١٠٢).

(٥) جمال القراء (١/ ٢٣١).

قول من قال: إن عاصماً كان يعد في (ص) ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾[1].

(٦٢٠٤) آية وهي تنسب إلى أيوب بن المتوكل.

ويقول ابن الجوزي في فنون الأفنان:

« وفي البصري: خمس آيات، وهو مروي عن عاصم الجحدري، وفي رواية عنه وأربع آيات وبهذا الرواية قال أيوب بن المتوكل البصري »[2].

فمدار هذا العدد على عاصم الجحدري، وينسبه أهل البصرة بعد عاصم إلى أيوب بن المتوكل **وعليه مصاحفهم**[3].

وقد اقتصر الداني في أرجوزته على رواية (٦٢٠٥) آية[4].

وأكثر المؤلفين على ذكر الروايتين، والذي يترجح أن العد البصري هو (٦٢٠٤) لقول الداني: « قال محمد: وجميع عد آي القرآن في عدد البصريين ستة آلاف ومئتان وأربع آيات **وهو الذي عليه مصاحفهم حتى الآن** »[5].

وقد ذكر الداني إضافة إلى ما سبق روايتين مسندتين عن شيخه أبي الفتح وهما (٦٢١٠) آية (٦٢١٦) آية لكن العمل على خلاف ذلك، ولم يعتمد الداني عليها[6].

٧ -- العدد الحمصي: وهو ما ينسب إلى شريح الحضرمي، ولم يعتمده الداني في البيان، وتبعه الشاطبي في ناظمة الزهر، وأكثر المؤلفين على عدم ذكره إما لعدم شهرته واتصال الرواية به، وكون حمص من بلدان الشام، وقد أشار إليه بعض

(١) البيان (ص/ ٨٢).

(٢) نقلاً من فنون الأفنان (ص/ ٩٧).

(٣) انظر: التبيان (ص/ ٢٠٣).

(٤) انظر: الأرجوزة بيت رقم (١٢٤٧).

(٥) البيان للداني (ص/ ٨٠).

(٦) انظر: البيان للداني (ص/ ٨١).

قدامى المؤلفين كالهذلي في الكامل حيث يقول: «القرآن كله ستة آلاف ومائتان وأربع وخمسون، أو ست وخمسون في عدد أهل حمص». وقد تقدم قوله وهو شاذ»[1].

وأشار إليه العماني صاحب الأوسط «وعدد أهل الشام منسوب إلى يحيى بن الحارث الذماري يسند إلى عثمان – رضي الله عنه – وربما يختلف أهل حمص وأهل دمشق، والفريقان من أهل الشام»[2].

ويقول ابن الجوزي: «ونقل عن أهل حمص أنهم قالوا: واثنتان وثلاثون آية»[3].

وهذه هي الرواية التي عليها العمل (٦٢٣٢) للعدد الحمصي. وهذه الرواية في لطائف الإشارات للقسطلاني ومن تبعه، وتقدمت الإشارة إليهم[4].

وعلى اعتماده ضمن الأعداد المتداولة في هذا الفن، يكون العدد الشامي على قسمين:

١ – العدد الدمشقي (٦٢٢٥) آية.

٢ – العدد الحمصي (٦٢٢٢) آية.

«وكون آيات القرآن أكثر، وعند بعضهم أقل، لا أن بعضهم يزيد فيه، وبعضهم ينقص، فإن الزيادة والنقصان كفر ونفاق، على أنه غير مقدور للبشر، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾»[5].

(١) الكامل للهذلي (ص/ ١٠٢).

(٢) نقلاً عن كتاب الأوسط للعماني (ص/ ٤٧٧).

(٣) فنون الأفنان (ص/ ٩٧).

(٤) انظر (ص ٣٢) من هذا البحث.

(٥) بصائر ذوي التمييز (١/ ٣٧٧).

وإنما غايته أنه محل فصل أو وصل، والوقف على كل كلمة جائز ووصل القرآن كله جائز، ومدار الخلاف في ذلك: هو اختلاف رواية فقط بين الناقلين، ثم استقر الأخذ ببعض هذه الروايات دون بعض.

وأختم هذا البحث بذكر الأعداد المتداولة في هذا الفن الشريف من منظومة «الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواة» واخترتها لوضوحها ولأني أشرت إليها غير مرة، فيقول رحمه الله:

وجملة الآيات في التجميل ... ستة آلاف على التحصيل
ومائتان ثم زاد المكي ... عشراً وتسعاً ذاك دون شك
ثمت زاد المدني الأول ... على الحساب المجمل

* * *

عشراً وسبعاً ثم زاد الآخرْ ... عشراً وأربعاً وذاك ظاهرْ
وزاد أيضاً في الحساب الشامي ... خمساً وعشرين على التمام
وزاد فيه أيضاً البصريُّ ... خمساً وزاد أيضاً الكوفيُّ

* * *

وفيه ثلاثين وستاً فاعلمنْ ... وميّز الجميع واحفظ وافهمنْ
فهذا الاختلاف في الأعدادِ ... كما رواه الكلُّ بالإسنادِ[1]

(١) الأرجوزة المنبهة للداني (ص/ ٢٩٦).

المبحث الخامس

مناهج التأليف في هذا العلم الشريف

المبحث الخامس
مناهج التأليف في هذا العلم الشريف

من خلال الاستقراء للمؤلفات التي تحدثت عن هذا العلم، وتناوله إما إفراداً أو تضميناً مع موضوعات أخرى، يمكن أن تقسم هذه المؤلفات كالآتي:

١ – علم عد الآي في كتب القراءات: وأعني بها المؤلفات التي تناولت القراءات القرآنية رواية ودراية، ولا يخفى صلة معرفة الفواصل بعلم القراءات وفي أمر تلاوة القرآن، إلا أن هذه الصلة تتضح في الوقف على رؤوس الآي وكونه سنة، وكذلك في (باب الفتح والإمالة والتقليل) في كتب القراءات، واختصاص رواية ورش من طريق الأزرق، وقراءة أبي عمرو البصري بذلك، فيحتاج إلى معرفة الفواصل في إحدى عشرة سورة، ليُمال ويقلل منها ما فيه ألف على الوجه المقرر في الفن، وأشهر كتب القراءات التي ضمنت مادتها هذا العلم:

١ – كتاب التبصرة في القراءات السبع لأبي محمد مكي بن طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) وقد اقتصر في كتابه على ذكر العددين (المدني والكوفي) دون غيرهما، ويبدو لشهرة الكوفي وكونه أتم الأعداد ومتصل الإسناد، والمدني وهو ما عليه أهل المغرب في زمانه.

٢ – كتاب الروضة في القراءات الإحدى عشرة لأبي علي الحسن بن محمد بن إبراهيم البغدادي المالكي (ت٤٣٨هـ) ضمن كتابه باباً لعد الآي مرتباً على سور القرآن الكريم.

٣ –كتاب الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها لأبي القاسم يوسف ابن علي الهذلي (ت٤٦٥هـ) ضمنه كتاباً عن (العدد) ابتدأه بذكر الأعداد وأسانيده إليها ثم استقصى سور القرآن مرتباً يذكر عد كل سورة.

٤ – كتاب الأوسط في علم القرآءات لأبي محمد الحسن بن علي العماني من علماء

القرن الخامس ضمن كتابه (العدد) بالحديث عن الأعداد ثم استعرض سور القرآن الكريم مرتبة.

٥ – كتاب التلخيص في القراءات الثمان لأبي معشر عبدالكريم بن عبدالرحمن الطبري (ت٤٧٨هـ) وذكر في صدر كل سورة اختلاف العدد فيها قبل شروعه في إيراد فرش القراءات فيها.

٦ – كتاب لطائف الإشارات في علم القراءات، لشهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني (ت٩٢٣هـ) صدر كل سورة بذكر مذاهب أهل العدد فيها قبل شروعه قبل سرد الفرش وأحكامها من المال والمدغم وهو مقسم إلى أرباع. وعليه اعتمد الإمام المتولي في مادة كتابه تحقيق (البيان في عدد آي القرآن) كما ذكر في آخره حيث قال: «فهذا ما جمعته من كتاب لطائف الإشارات تأليف الإمام أبي العباس القسطلاني رحمه الله».

والقسم الذي فيه علم العدد من (لطائف الإشارات) لا يزال مخطوطاً لم يطبع بعد.

٧ – كتاب (إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر) لأحمد بن محمد البنا الدمياطي (ت١١١٧هـ).

٨ – كتاب غيث (النفع في القراءات السبع) لأبي الحسن علي بن سالم الصفاقسي (ت١١١٨هـ).

وهما على منهاج (لطائف الإشارات للقسطلاني) في ذكر العدد في صدر كل سورة قبل الشروع في ذكر أحكامها.

والفرش مقسم إلى أرباع، حسب ترتيب سور القرآن.

وهذه هي أشهر الكتب في علم القراءات – فيما أحسب – التي تناولت في ثناياها عدد الآي ومذاهب العلماء فيه، ولم أتعمق في توصيف المناهج فيها بدقة، لأني أردت إلقاء الضوء سريعاً على علم العدد القرآني فيها فقط.

علم عد الآي في كتب علوم القرآن:

وأذكر منها الكتب التي تناولت هذه العلم بالتأصيل واستيفاء جميع سور القرآن وذكر اختلاف أهل العدد فيها، فمن هذه الكتب:

١ – كتاب «فنون الأفنان في عيون علوم القرآن» للإمام أبي الفرج الجوزي (ت٥٩٧هـ) وأورد – يرحمه الله – في كتابه باباً بعنوان «عدد آيات السور» ذكر فيه اختلاف أهل العدد في آي القرآن مرتباً على حسب السور[١].

وقد أورد – يرحمه الله – في أبواب سابقة مذاهب البلدان في العدد، وعدد آي القرآن عند كل منهم، والروايات الواردة عنهم[٢].

٢ – كتاب «جمال القراء وكمال الإقراء» لعلم الدين علي بن محمد السخاوي (ت٦٤٣هـ) وقد ضمنه كتاباً سماه «أقوى العدد في معرفة العدد» تحدث فيه أهل العدد ومذاهبهم في آي القرآن مرتباً على سور القرآن الكريم، وختمه بالحديث عن أن هذا الخلاف إنما هو خلاف نقلي لا اجتهادي[٣].

٣ – كتاب «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز» لمجد الدين الفيروزأبادي (ت٨١٧هـ) وقد ضمن كتابه مقصداً وهو الأول فيه بعنوان «المقاصد المشتملة على جميع سور القرآن» فيورد في كل سورة من سور القرآن تسعة مباحث «موضع النزول – عدد الآيات والحروف والكلمات – اختلاف القراء في عدد الآيات – مجموع فواصل السور – اسم السورة أو أسماؤها – مقصد السورة – وما هي متضمنة له – الناسخ والمنسوخ من السورة – المتشابه منها – فضل السورة».

(١) انظر: فنون الأفنان (ص/ ٢٧٨ – ٣٢٧).

(٢) انظر: فنون الأفنان (ص/ ٢٣٣ – ٢٤٤).

(٣) انظر: جمال القراء (ص/ ١٨٩ – ٢٣٣).

وختم هذا المقصد الطويل بالحديث عن عدد الآيات إجمالاً، ومذاهب أهل العدد في ذلك، وعن حروف ونقاط كلمات القرآن الكريم[1].

٤ – كتاب الإتقان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) حيث ضمن كتابه فصلاً بعنوان «فصل في عد الآي» في النوع التاسع عشر من علوم القرآن في عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه[2]. ذكر فيه نقولات في تعريف الآية، ثم رجح أن معرفتها بالتوقيت لا غير، ثم أورد نقلاً من كتاب البيان للداني عن عدد آيات القرآن، وأورد كذلك نقلاً عن أبي عبدالله الموصلي (ت٦٥٦هـ) في شرح قصيدته ذات الرشد في العدد، إلا أنه سلك في إيرادها الإجمال لا التفصيل.

ومما يجدر التنبيه عليه أن في هذا الفصل زيادات على كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي من حيث ذكر أسانيد علماء العدد الستة في البلدان، وذكر أقسام سور القرآن من حيث اختلاف العدد فيها، وهذا كله نقلاً عن أبي عبدالله الموصلي في شرح قصيدته[3].

٥ – كتاب الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي (ت١١٥٠هـ) وقد بنى جل مادة كتابه على كتاب الإتقان، للسيوطي، وهو ينقل كثيراً منه إما بالنص أو بالتصرف[4].

وذكر ابن عقيلة المكي في كتابه النوع الثامن والثلاثين، (علم عدد السور، والآيات، والكلمات، والحروف القرآنية) ولم يزد في علم عد الآي على ما في الإتقان

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز (٨٧ – ٣٨٢).

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٤٣١ – ٤٤٨).

(٣) علوم القرآن بين البرهان والإتقان (ص/ ٥٧٦ – ٥٧٧).

(٤) انظر: قسم الدراسة في تحقيق كتاب الزيادة والإحسان (١/ ٦٠ – ٦٨).

للسيوطي[1].

٦ – كتاب التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان، للإمام الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي (ت١٣٣٨هـ).

وهو من الكتب المفيدة التي جمعت بين أسلوب العلماء المتأخرين مع المحافظة على أصالة ونفس العلماء المتقدمين، وضمن كتابه فصلاً هو العاشر بين فصوله بعنوان (الفصل العاشر في عدد الآيات) واشتمل على عشرة مباحث ذكر في المبحث العاشر منها (عدد آي سور القرآن) ثم أورد ما في الإتقان وما نقله من شرح شعلة الموصلي لقصيدته (ذات الرشد) ثم قال الجزائري بعد ذلك:

(وقد أوردها هنا إلا أنه سلك في الإنابة عنها مسلك الإجمال، وقد رأينا أن نورد ذلك هنا مبسوطاً بعض البسط)[2]، ثم ذكر اختلاف علماء العدد في آي القرآن مرتباً على سور الذكر الحكيم[3].

(١) انظر: الزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي (٢/ ٣٨ – ٧٠).

(٢) التبيان (ص/ ٢٢١).

(٣) انظر: التبيان (ص/ ٢٢١ – ٢٤٦).

مؤلفات مستقلة في علم عد الآي

يقول الحافظ السيوطي في كتابه الإتقان: «أفرده جماعة من القراء بالتصنيف»[1].

وسأذكر - فيما وقفت عليه - أشهر المؤلفات التي أفردت بذكر (علم عد الآي) واختلاف المذاهب فيه.

ويمكن أن تقسم إلى قسمين رئيسين هما:

أ- منظومات شعرية.

ب - مؤلفات نثرية.

أما النوع الأول فأشهر المنظومات في علم عد الآي:

١ - ناظمة الزهر في عدد الآي والسور للإمام أبي القاسم الشاطبي (ت٥٩٠هـ) وهي قصيدة رائية تقع في (٢٩٧) بيتاً اعتمد ناظمها على كتاب الداني «البيان في عد آي القرآن» وعلى بعض الروايات عن أحمد بن عمار المهدوي فيما أوردا عن الفضل بن شاذان، ولهذا لم يذكر - يرحمه الله - العد الحمصي ضمن الأعداد المعتبرة؛ لأن الفضل لم يذكره[2]. ولها شروح عدة أذكرها ضمن المؤلفات النثرية.

٢ - منظومة (ذات الرَّشد في العدد) لأبي عبدالله الموصلي (ت٦٠٦هـ) الشهير بـ(شعلة) وهي لا تزال مخطوطة منها نسخة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض برقم ٣٩٦١/ ب، وقد شرحها ناظمها واستفاد من

(١) انظر: الإتقان (٢/ ٤٣١).

(٢) انظر: بشر اليسر للقاضي (ص/ ٢٨).

شرحه السيوطي في الإتقان[1]، وطاهر الجزائري في التبيان، حيث أوردا نقلات منه، ولم أقف على المنظومة وعلى شرحها، لذا لم أورد مزيداً عنهما.

٣ – منظومة (عقد الدرر في عد آي السور) لناظمها العلامة إبراهيم بن عمر الجعبري (ت٧٣٢هـ) وهي قصيدة دالية تقع في ١٦٩ بيتاً، ورموز علماء العدد التي اصطلحها في نظمه تخالف ما في ناظمة الزهر للشاطبي.

٤ – منظومة تحقيق البيان في المختلف فيه من آي القرآن، للإمام أحمد المتولي (ت١٣١٣هـ) وتعرف «بالأرجوزة في علم الفواصل» وتقع في ١٣٠ بيتاً[2]، ولها شرحان أذكرهما لاحقاً.

٥ – منظومة دالية في عدد آي القرآن على العد الكوفي لناظمها الشيخ محمد بن عبدالرحمن الخليجي (ت١٣٩هـ) وتقع في ثلاثين بيتاً.

٦ – منظومة الفرائد الحسان في عد آي القرآن للشيخ العلامة عبدالفتاح القاضي وتقع في ١٣٠ بيتاً من بحر الرجز، وقد لاقت قبولاً منقطع النظير عن طلاب العلم، فهي مقررة على طلاب علم القراءات في أكثر من جهة دراسية، وقد شرحها ناظمها، ولها شرحان آخران يأتي ذكرهما.

٧ – منظومة في عد آي القرآن للشيخ الدكتور إيهاب فكري وتقع في ٩٠ بيتاً قرب فيها منظمة الشيخ القاضي، وقام ناظمها بوضع شرح عليها أسماه «التسهيل إلى عد آي التنزيل».

٨ – منظومة في آيات السور الشريفة كما رواه أهل الكوفة للشيخ الدكتور/ أشرف محمد فؤاد طلعت وتقع في ٥٢ بيتاً، وقد قام بوضع شرح عليها ووسمه بـ

(١) انظر: الإتقان (٢/ ٤٣٦) وما بعده.

(٢) انظر: الإمام المتولي وجهوده في علم القراءات (ص/ ٣٢٦ – ٣٢٧).

«التعليقات اللطيفة» وقد بدأ في منظومته بذكر السور الأقل عدداً ثم يوردها تصاعدياً إلى أن ختمها بسورة البقرة.

أما النوع الثاني وهي المؤلفات النثرية في علم عد الآي خاصة فهي كالآتي:

١ – (بيان عدد سور القرآن الكريم وآياته) لابن عبدالكافي أبو القاسم محمد بن عبدالكافي، (ت في حدود ٤٠٠هـ) وهو من المؤلفات الأصيلة في هذا العلم، منه نسخة ميكروفلمية في الجامعة الإسلامية.

٢ –(رسالة في تنزيل القرآن وعدد آياته واختلاف الناس فيه) لأبي زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة من علماء القرن الخامس الهجري، وهي من أقدم النصوص التي وصلت إلينا في هذا العلم، ونشرت في مجلة معهد الإمام الشاطبي بتحقيق الدكتور/ غانم قدوري الحمد.

٣ – (كتاب البيان في عد آي القرآن) للحافظ أبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ) وهو من الكتب المسندة الأمهات في علم عد الآيات، له القدح المعلى والدور المجلى بينها، ودار العمل على ما تضمنه من بيان الخلاف في عدد آي القرآن، ولم يُخالف إلا في أشياء يسيرة.

٤ – كتاب (حسن المدد في فن العدد) للعلامة إبراهيم بن عمر الجعبري (ت٧٣٢هـ) وهو من الكتب المفيدة في بابها وموضوعها، تتصل أسانيد مؤلفه بالداني، وقد ذكر في كتابه مقدمة لطيفة ثم أتبع ذلك بالكلام عن السور المكية والمدنية وبيان الخلاف في عد آي سور القرآن وإيراد حروفها وفواصلها.

٥ – (تحقيق البيان في عد آي القرآن) للإمام أحمد المتولي (ت١٣١٣هـ) وهو من الكتب المهمة في بابها، ذات القيمة النوعية، والدقة العلمية، واعتمدت عليه بعض لجان طباعة المصحف الشريف في جانب عدد الآي.

وقد استقى مادة كتابه من (لطائف الإشارات لفنون القراءات) للإمام

القسطلاني، والكتاب لا يزال مخطوطات -- فيما أعلم -- له نسخ خطية عديدة منها نسخة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

٦ – شروح «ناظمة الزهر في عدد الآي في السور» وهي كالآتي مرتبة تأريخياً:

* (لوامع البدر شرح ناظمة الزهر) لشيخ قراء استانبول في وقته عبدالله بن إسماعيل الأيوبي (ت١٢٥٢هـ) وقد قدم كأطروحة علمية لنيل درجة الدكتوراة من قسم القراءات في جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

* (القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز) لأبي عيد رضوان بن محمد المخللاتي (ت١٣١١هـ) وهو مطبوع بتحقيق الشيخ عبدالرازق موسى – رحمه الله – وقد أفاد كثيراً من شرح الأيوبي السابق.

والشيخ المخللاتي له جهود مشكورة ملموسة في هذا العلم فله مؤلف آخر وسمه بـ (مقدمة شريفة كاشفة لما احتوت عليه من رسم الكلمات القرآنية وضبطها وعدد الآي المنيفة)، ذكرها في أول مصحفه الذي خطه ببنانه – رحمه الله – وطبع بالمطبعة البهية بالقاهرة. **وقد طبعت مستقلة أخيراً.**

كما أنه – رحمه الله – في مصحفه صدَّر كل سورة يذكر مكان نزولها وعدد آياتها والخلاف بين العادين فيها، وللفائدة هذا أنموذج من مصحفه يتضح للناظر فيه ذكره – رحمه الله – لعدد كل سورة في أولها:

* شرح (معالم اليسر شرح ناظمة الزهر) للشيخين: محمود دعبيس وعبدالفتاح القاضي – رحمهما الله – وهو يعتني باللغة وإعراب الأبيات والإسهاب والإطناب.

* شرح (بشير اليسر شرح ناظمة الزهر)، للشيخ عبدالفتاح القاضي – رحمه الله – وقد عمد إلى إعادة شرحها لما نفدت طبعة «معالم اليسر» فرأى الاختصار في مواطن منه، والإسهاب في مواطن، وإيضاحاً لغامض، وبياناً أكثر لمعنى، وطبع باسم «بشير اليسر».

٧ – «شرح أرجوزة الإمام المتولي في علم الفواصل»، ولها شرحان مطبوعان هما:

* الموجز الفاصل في علم الفواصل للشيخ عبدالفتاح القاضي، وله – رحمه الله – استدراكاتٌ جيدة مفيدة[1].

* المحرر الوجيز في عد آي الكتاب العزيز للشيخ عبدالرازق بن علي موسى – رحمه الله – وهو أوسع من شرح القاضي.

٨ – «شرح منظومة الفرائد الحسان في عد آي القرآن» للشيخ القاضي ولها ثلاثة شروح مطبوعة:

* نفائس البيان شرح الفرائد الحسان، لناظمها – رحمه الله – والنظم والشرح مطبوعان في كتاب واحد.

* مرشد الخلان إلى معرفة عد آي القرآن شرح نظم الفرائد الحسان، للشيخ عبدالرازق بن علي موسى – رحمه الله –.

* «النسائج الحسان في عد آي القرآن» لمؤلفه محمد أبو الخير، وهو يذكر الخلاف في عدد السورة في رسم على هيئة الجداول ثم يورد أبيات الفرائد الحسان كشاهد ودليل على الخلاف.

(١) انظر: الإمام المتولي وجهوده في علم القراءات (ص/ ١٦٢).

٩ – كتاب «سعادة الدارين في بيان وعد آي معجز الثقلين على ما ثبت عند أئمة الأمصار وجرى عليه العمل في سائر الأقطار» لمؤلفه الشيخ محمد بن علي بن خلف الحسيني الشهير «بالحداد» شيخ المقارئ المصرية في زمانه.

وقد اعتمد على الكتب الأصيلة في هذا العلم في استقاء مادة كتابه[1]. وهو يعد من أفضل كتب المتأخرين ترتيباً وسبكاً ووضوحاً.

وبعد: فهذه مناهج التأليف في هذا العلم، ومظان وجوده في الكتب، حاولت ذكر أشهر المؤلفات وأدق المصنفات، وقسمتها على أنواع حسب ما ظهر لي.

ولا أدعي أني أوفيتها حقها في ذكرها وتوصيف مناهجها، وبيان الخلاف بين هذه المؤلفات، والفروق والزوائد فيما بينها، وإنما كان الغرض إلقاء الضوء سريعاً على أشهرها وأكثرها تناولاً لعلم عد الآي.

(١) انظر: مقدمة المؤلف (ص/ ٣).

ثبت المصادر والمراجع

١- **القرآن الكريم.**

٢- **إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر.** الشيخ أحمد بن محمد البنا، تحقيق: د. شعبان إسماعيل، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، بيروت، عالم الكتب.

٣- **الإتقان في علوم القرآن.** للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: مركز الدراسات الإسلامية في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٤- **أطراف المتون في أشرف الفنون.** د. أشرف فؤاد طلعت، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ، مصر، مكتبة الإمام البخاري.

٥- **الإمام المتولي وجهوده في علم القراءات.** د. إبراهيم الدوسري، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، الرياض، مكتبة الرشد.

٦- **البرهان في علوم القرآن.** أبو عبدالله محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق: د. يوسف المرعشلي وآخرون، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، بيروت، دار المعرفة.

٧- **بشير اليسر شرح مناظمة الزهر.** عبدالفتاح القاضي، بدون تاريخ الطبع، القاهرة، المكتبة المحمدية التجارية.

٨- **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز.** مجد الدين الفيروزأبادي، تحقيق: محمد علي النجار وعبدالعليم الطحاوي، بيروت، المكتبة العلمية.

٩- **البيان في عد آي القرآن.** الإمام أبو عمرو الداني، تحقيق: د. غانم قدري الحمد، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، الكويت، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق.

١٠- **تاج العروس من جواهر القاموس.** محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: نخبة من العلماء، الكويت، طبع مطبعة حكومة الكويت.

١١- **التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان**. للعلامة طاهر الجزائري الدمشقي، اعتنى به عبدالفتاح أبو غدة، الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ، بيروت، مكتب المطبوعات الإسلامية.

١٢- **التحرير والتنوير**. محمد الطاهر بن عاشور، ١٤٠٤هـ، تونس، الدار التونسية.

١٣- **تحقيق البيان في عد آي القرآن**. الإمام المتولي، مخطوط نسخة عندي.

١٤- **التلخيص في القراءات الثمان**. الإمام أبو معشر الطبري، تحقيق: د.محمد حسن موسى عقيل الشريف، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، منشورات الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة.

١٥- **جمال القراء وكمال الإقراء**. علم الدين السخاوي، تحقيق: د. علي حسين البواب، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، مكة المكرمة، مكتبة التراث.

١٦- **حسن المدد في فن العدد**. العلامة إبراهيم بن عمر الجعبري، تحقيق: جمال السيد الرفاعي، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م، مصر، مكتبة أولاد الشيخ للتراث.

١٧- **زعيم المدرسة الأثرية للقراءات وشيخ قراء المغرب والمشرق الإمام أبو القاسم الشاطبي**. تأليف: د. عبدالهادي حميتو، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ، الرياض، أضواء السلف.

١٨- **الزيادة والإحسان في علوم القرآن**. ابن عقيلة المكي، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ إصدارات مركز البحوث والدراسات، جامعة الشارقة.

١٩- **سعادة الدارين في بيان وعد آي معجز الثقلين**. العلامة محمد بن علي الحسيني، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ، دار الصحابة للتراث بطنطا.

٢٠- **علوم القرآن بين البرهان والإتقان**. د. حازم حيدر، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ، المدينة المنورة، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع.

٢١- **غيث النفع في القراءات السبع**. علي النوري الصفاقسي، الطبعة الثالثة ١٣٧٣هـ، بحاشية سراج القاري، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
٢٢- **الفاصلة في القرآن**. د. محمد الحسناوي، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ، عمان، دار عمار.
٢٣- **فنون الأفنان في عيون علوم القرآن**. الإمام أبو الفرج الجوزي، تحقيق: د.حسن ضياء الدين، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، دار البشائر الإسلامية.
٢٤- **الفهرست**. لابن النديم، بدون تاريخ الطبع، بيروت، دار المعرفة.
٢٥- **الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها**. الإمام أبو القاسم الهذلي، تحقيق: جمال بن السيد الرفاعي، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ، مؤسسة سما للنشر والتوزيع.
٢٦- **لطائف الإشارات لفنون القراءات**. أبو العباس أحمد بن محمد القسطلاني، تحقيق: عامر السيد عثمان، د. عبدالصبور شاهين، القاهرة، ١٣٩٢هـ، الجزء الأول، مطبوعات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
٢٧- **مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية**. ذي الحجة ١٤٢٧هـ، العدد الثاني.
٢٨- **مجموعة مهمة في القراءات والتجويد والرسم وعد الآي**. تحقيق: جمال السيد رفاعي، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ، القاهرة، مكتبة ابن تيمية.
٢٩- **محاضرات في علوم القرآن**. د. غانم قدوري الحمد، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، عمان، دار عمار.
٣٠- **محاضرات في علوم القرآن**. د. غانم قدوري الحمد، ط١، ١٤٢٣هـ، عمّان، دار عمار للنشر والتوزيع.
٣١- **مصحف شريف بخط الشيخ أبي عيد رضوان المخللاتي**. المطبعة البهية بالقاهرة.

٣٢- مناهل العرفان في علوم القرآن. محمد عبدالعظيم الزرقاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
٣٣- منظومة ناظمة الزهر. الإمام الشاطبي، تحقيق: د. أشرف طلعت، ط٢، ١٤٢٧هـ، مصر، مكتبة الإمام البخاري.
٣٤- الموسوعة القرآنية المخصصة. إشراف د. محمود حمدي زقزوق، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ، القاهرة، منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
٣٥- نفائس البيان شرح الفرائد الحسان. عبدالفتاح القاضي، عناية د.عبدالله الميموني، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ، الرياض، مكتبة ابن الجوزي.
٣٦-المراجع الإلكترونية.
الموسوعة الشاملة، الإصدار الثالث، ملتقى أهل الحديث.
موسوعة المخطوطات، إصدار مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.